مستويات اللغة السردية في المجموعة القصصية (مصاطب الآلهة) لمحمود جنداري

عمر محسن أحمد الحيالي

مكتب مدير قسم الشؤون الإدارية والمالية/ رئاسة جامعة نينوى– العراق

ملخص البحث:

تتمثل اللغة في النص القصصي بالأطر القولية التي تُصاغ بها المادة القصصية، وجاء اختيار محمود جنداري ميدان للدراسة من حيث مجموعاته القصصية التي اتسمت بالتجريب ولاسيما (مصاطب الآلهة) التي عمدت إلى تأسيس نص تجريبي مفتوح داخل الخطاب القصصي على شكل انزياح سردي بالمغايرة والاختلاف إلى ما وراء السرد وتشكيل فضاء ما بعد الحداثة مما يحتاج إلى لغة سردية خاصة بذلك.

قام البحث على مدخل ومبحثين، تضمن المدخل تحديد مفهوم اللغة السردية، في حين خص المبحث الأول لدراسة (المستوى المرجعي للغة السردية) من حيث الرمز والمفارقة، في حين تضمن المبحث الثاني دراسة (المستوى النوعي للغة السردية) من حيث الوصف والحوار.

اعتمد البحث دراسة تحليلية للغة السردية في المجموعة القصصية (مصاطب الآلهة) لمحمود جندراي بقراءة خاصة لمقاربة الانفتاح اللغوي باللغة السردية على مستوى المرجعية والنوع.

الكلمات المفتاحية: اللغة السردية/ مستويات اللغة السردية/ مصاطب الآلهة/ محمود جنداري.

Levels of Narrative Language in the Short Story Collection (Masatib Al-Aliha) By Mahmood Jandari

Omar Mohsen Ahmed Al-Hayali

Office of the Director of the Administrative and Financial Affairs Department / University of Nineveh Presidency- lraq

Abstract:

The language in the narrative text is represented by the verbal frameworks in which the narrative material is formulated. Mahmood Jandari's choice of field for study came in terms of his short story collections that were characterized by experimentation, especially (Masatib Al-Aliha), which sought to establish an open experimental text within the narrative discourse in the form of a narrative shift with difference and variation to beyond the narrative and the formation of a postmodern space, which requires a narrative language specific to that.

The research was based on an introduction and two sections. The introduction included defining the concept of narrative language, while the first section was devoted to studying (the reference level of narrative language), in terms of symbolism and paradox, while the second section included studying (the qualitative level of narrative language) in terms of description and dialogue.

The research adopted an analytical study of the narrative language in the short story collection (Masatib Al-Aliha) by Mahmood Jandari, with a special reading of the approach to linguistic openness in the narrative language at the level of reference and diversity.

Keywords: Narrative language/ Levels of narrative language/ Masatib Al-Aliha/ Mahmood Jandari.

مدخل: مفهوم اللغة السردية:

اللغة هي نتاج اشاري سيميولوجي يقوم بعناصر تعتمد بعضها على البعض الآخر لإنتاج قيمة خاصة[1]، ولكل لغة وظيفتان يتحكم بهما الناقد لتقييم النص لأنَّ اللغة جمالية ونفعية معاً تقدم غاياتها على وفق هذا التصنيف الثنائي[2]، لذا لا بُدَّ أن يكون التعبير في النص باللغة بوصفها كياناً ملموساً وليس على أساس أنَّ اللغة بوصفها نوعية خاصة لعلم اللغة[3]، إذ تعمل اللغة على إنتاج النص الأدبي من ألفاظ وتراكيب وأصوات في تجسيد لغوي، وما الأدب إلا ظهور في عالم لغوي، فالأدب هو اللغة وهي تؤدي وظيفتها الجمالية[4]، فالنص على وفق ذلك وحدة شاملة يتجاوز كليته بمجموع أجزائه وعناصره المكونة له[5].

السرد هو المصطلح العام الذي يشتمل على قص حدث أو أحداث بوساطة اللغة[6]، فالسرد هو نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية، فيقوم السارد بعملية السرد الذي ينتج النص القصصي بما يشتمل عليه من اللفظ والملفوظ/ الخطاب والحكاية[7]، لذا يقوم السرد على لغة ليشكل مصطلح (اللغة السردية) التي لا تعد ثابتة وإنما تتسم بالتعددية والوعي لأنَّ الراوي إذا فقد القيم اللسانية لأسلوب النص فلا يستطيع أن يرتقي بلغته السردية إلى مستوى الوعي[8].

تتمظهر مستويات اللغة السردية في أشكال مميزة تبعاً لظروف المقامات المنهجية للنص من جهة، وللمواد الداخلة عليه في عملية البناء من جهة ثانية، ثم تبعاً للرؤية التي يقدمها المبدع عن وسطه وعن العالم من حوله ثالثاً [9]، من حيث اللغات والأصوات والملفوظات والمواقف الأيديولوجية ، لذا تمثل اللغة السردية نظاماً للغات وليس للغة واحدة وإنما على وفق أشكال لغوية وأسلوبية مختلفة في نظم متعددة على مستويات متعددة [10].

(1) ينظر: عالم اللغة العام، دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، 134.

(2) ينظر: ثقافة الأسئلة، د. عبد الله الغذامي: 32–33.

(3) ينظر: شعرية دستويفسكي، باختين، ترجمة: د. جميل نصيف التكريتي: 265.

(4) في آليات النقد الأدبي، د. عبد السلام المسدي: 103–113.

(5) ينظر: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة: 13.

(6) ينظر: الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل: 187.

(7) ينظر: السرد في روايات محمد زفزاق، محمد عز الدين التازي: 28.

(8) ينظر: الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، ترجمة: محمد برادة: 19.

(9) ينظر: مستويات اللغة في السرد العربي الحديث: 31–32.

(10) ينظر: بلاغة الخطاب ومفهوم النص، د. صلاح فضل: 295.

المبحث الأول: المستوى المرجعي للغة السردية:

تمثل المرجعية الإطار السياقي الذي يستند إليه السرد مثل الأصول المعرفية والتاريخية والثقافية والاجتماعية التي تسهم في تشكيل النص السردي وتحديد معناه، إذ تعكس الرؤية التي يتولد عنها النص، وتعطي السرد أبعاد واقعية أو خيالية تسمح للقارئ بفهم العلاقات بين أجزاء النص السردي ومعانيه[1].

1- الرمز:

الرمز هو " التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا تقوى على أدائها اللغوي في دلالتها الوضعية، والرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح"[2] ، وتشير دلالات الرمز في القصة القصيرة إلى معنى من فراغات النص الأدبي الذي يشتغل عليه القاص، لذا يرتبط الرمز بالوظيفة التي تحققها القصة بتعالقها مع الشكل الذي يعبر عن مدى إحكام القاص لتحقيق أغراضه[3]، لذا تحاول القصة القصيرة "أن تخلق رموزها الخاصة بها واستغلال الرموز السابقة إلى فضائها وهذا يوفر عليها كثيراً من المهام أن تتمثل في الاختيار المرموزاتي، إذ تختار أغناها وأكثرها ملائمة ومدى انسجام المرموزات مع بعضها ومع سياق المقولة المرادة"[4].

يرمز عنوان المجموعة القصصية (مصاطب الآلهة) إلى فضاء أسطوري وملحمي وتاريخي، إذ يقول الراوي: "وصفوا سلال الخوص التي أنجزوها تواً. وضعوها في الظل حول جذع نخلة فتية أخذت تنمو سنوات نمواً غريباً ومضطرباً ثم جلسوا على مصاطب من المرمر في صفين متقابلين وراحوا يلملمون شتات الحكايات ويعيدون ترتيب أجزائها المفككة وسط صمت ظلامي جليل"[5].

تقوم رمزية العنوان على اللغة السردية للراوي، إذ يبدو من النص القصصي ما يدل على الملحمة والتاريخ، فضلاً عن العجائبية في نمو الشجرات نمواً غريباً ومضطرباً ليس على الواقع المألوف من إنبات الشجر، وتحيل مفردة (مصاطب من المرمر) على رمز عنوان المجموعة، إذ تدل مصاطب على جمع مصطبة مقعد للجلوس، ويعبر العنوان عن فضاء أسطوري وظفه القاص بالرمز الأسطوري للآلهة التي تحيل على المصاطب للتعبير عن كل ما هو أسطوري مع تحشيد الشخصيات والأمكنة والأزمنة والتواريخ لتشكيل المضمون ، لذا قدّم الراوي لغة سردية للعنوان عملت على توافق رمزه مع العنوان الرئيس بوصفه العنوان الجامع لقصص المجموعة كلها.

ومن اللغة السردية في التعبير عن رمز الشخصية قول الراوي في قصة (القلعة): "حمل بعضهم رايات طسم وجديس، وتمسك الآخرون بخيوط انتسابهم من هذه اللحظة حتى يوم الخلق ،من يوم القيامة إلى يوم القيامة، يلتقون عند عدنان ومن نسله كهلان وحمير ، ومنها ولدت قضاعة ومنها جهينة، وبنو فهر والأزد والأوس والخزرج والغساسنة الذين

(1) ينظر: مرجعيات بناء النص الروائي، د. عبد الرحمن التمارة: 27-28.

(2) الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال: 398.

(3) ينظر: معنى الشكل في العمل الفني، د. خلدون الشمعة، مجلة المعرفة، دمشق، العدد (135) لسنة 1973: 149.

(4) الترميز في الفن القصصي العراقي الحديث، د. صالح هويدي: 31.

(5) الأعمال الكاملة: 549.

INTERNATIONAL Scientific Indexing معامل التأثير: 2.923
معامل التأثير العربي: 2.61

حكموا الشام، وطيء منها حبيب بن أوس المقيم في الموصل، وندمج الأسماء الغريبة ومنها سعد العشيرة ومنها المتنبي وعبس ..." [1]

يضخ القاص في نصه القصصي مجموعة من الشخصيات المتنوعة عبر اللغة السردية التي تعد رموزاً متنوعة قبائل وأشخاص وشعراء سجل التاريخ أفعالهم لترمز كل شخصية إلى واقعها وأفعالها، إذ يرمز عدنان إلى أصل العرب، وترمز جهينة إلى إحدى القبائل العربية التي عرفت بقوة النفوذ والسلطة، وترمز الأوس والخزرج لروح المساندة بقوة الإيمان، إذ ساندت هاتان القبيلتان رسول الله (ص) عندما هاجر إلى يثرب وسميت فيما بعد المدينة المنورة، ويرمز الغساسنة للحكم القوي لبلاد الشام، ويرمز الشاعر حبيب بن أوس (أبو تمام) لشخصية الشاعر المتميز الفريد من نوعه، ومن ثم يرمز المتنبي للشاعر المجيد الذي يمدح الملوك والأمراء، والأسود العنسي الذي ادعى النبوة في زمن الخليفة أبي بكر الصديق (ر)، لذا عمد القاص في لغته السردية إلى زج النص القصصي بالشخصيات التي ترمز كل واحدة منها إلى معنى من اسمها وفعلها وشهرتها.

ومن اللغة السردية في التعبير عن رمزية المكان فيما يتعلق بحانة الأسود السبعة في قصة (القلعة)، إذ يقول الراوي: "صارت قلعة . ارابخا صارت قلعة، وحول القلعة صارت مدينة، والمدينة لها اسم القلعة، ومقابل القلعة صارت حانة، وتحت الحانة قبو عميق مظلم يتصل من الأسفل من تحت المجرى الخالي من الماء بممر سري بقبو آخر تحت القلعة يحفظ فيه التاريخ المحنط ، وله منافذ إلى كل أرجاء القلعة وأطرافها "[2].

ترمز القلعة من حيث اللغة السردية بوصفها مكاناً تاريخيا يعبر عن التحولات الاجتماعية التي طرأت على البلاد في سياق الزمن، ومن ثم يرمز المكان للارتباط بقضية وليس على مستوى الارتباط العاطفي أو الجغرافي ،ويحيل النص القصصي إلى أهمية هذه القلعة التي صارت فيما بعد مدينة، وحملت المدينة اسم هذه القلعة ثم نشأت الحانة، لذا يعمد القاص إلى تقديم المكان بوصفه رمزاً بارتباطه بالتحولات والتطور العمراني مما يدل على التحضر

2- المفارقة:

المفارقة هي "إقامة علاقات ذهنية بين الألفاظ"[3] فهي تسجل التناقض بين ظاهرتين لإثارة تعجب القارئ من دون تفسير أو تعليل[4]، فالمفارقة أسلوب يقوم بين مفهوم ذاتي وفكري بوجهتي نظر متعادلتين متفارقتين متضادتي الوضوح والإيجاز والجمالية اشتد التضاد بينهما مما يضفي دلالات أو معانٍ عديدة على النص الأدبي[5]، ويمكن أن تتحقق المفارقة على المستويات الصوتية والتركيبية والدلالية والإيقاعية[6]

تبدو في قول الراوي في قصة (العصور الأخيرة) : "الآن أزفت الساعة لأغادر قرون الصمت وظلمتها ناشداً عدلك متكئاً على حكمتك، الآن دخلنا معا زمن البوح، فعلمني كيف كيف يستطيع الحجر أن يتكلم، سأتكلم، سأقول هدني الصعود إلى

(1) ينظر: الأعمال الكاملة: 495.

(2) الأعمال الكاملة: 471.

(3) المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، القاهرة، المجلد (7)، العددان (3، 4) لسنة 1987: 132.

(4) المفارقة في القص العربي المعاصر، د. سيزا قاسم، مجلة فصول، القاهرة، المجلد (2)، العدد (4) لسنة 1982: 143.

(5) ينظر: المفارقة وصفاتها، سي. دي ميويك، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة: 63.

(6) ينظر: المفارقة والأدب، د. خالد سليمان: 17.

التل المقدس حتى أورشليم، وأتعبتني الإقامة القلقة هناك، واشتاقت روحي وتشتاق إلى بابل، اغريتيني قلت لي: تعال تقم بيني وبينك عهدا فصدقت "[1].

يركز الراوي من بدء النص القصصي على المغادرة والصمت والوحدة والسعي لطلب الحكمة ثم يتساءل عن كلام الحجر بعدم استطاعته ذلك الفعل، وتكمن المفارقة اللفظية في فعل الكلام وسأتكلم، مع التمهيد بعدم فعل ذلك، ثم ينطلق الراوي ليكمل المفارقة عند تكلم الشخصية عن وضعها النفسي من التعب بسبب الصعود والأرق من الإقامة، ومن ثم الاشتياق والاستجابة للإغراء، وتكمن المفارقة مرة أخرى بالتنقل بين الأزمنة والأمكنة لتأكيد قصد الانتماء لهذا التاريخ وأحداثه الماضية المتتابعة ، التي تعد وريثاً لهذا الإنسان بوصفه الفاعل لها والمؤثر فيها ، وانتقل الراوي بين الأزمنة : تاريخ أورشليم وبابل ، والأمكنة التي ترمز لهذه الأزمنة، إذ هد الإنسان من صعوده للتل المقدس في أورشليم وأصيب بالأرق للإقامة هناك، ومن ثم الاشتياق لمدينة بابل والعهد الذي أخذه على نفسه.

وتأتي المفارقة في نص قصصي آخر، إذ يقول الراوي في قصة (القلعة): "وبعد هذه السنوات الطويلة ذكر احدهم في أن ينتسب إلى الاسكندر الأكبر عرف الآخرون بما فكر فأعلموه أنَّ الاسكندر مات وهو أعزب، ولكن الرجل لم يرتدع ولم يقطع حديثه الهادئ مع نفسه بل وجد فرصة مناسبة ليقول لهم إنَّ الاسكندر كان على علاقة بامرأة من بابل اختلى بها قبل وفاته بأيام"[2].

يبدأ النص القصصي بتقديم شخصية الاسكندر الأكبر فهو رمز تاريخي منذ الماضي عند الإغريق أسس أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ، وعمد القاص إلى توظيفه في أحداث القصة من باب تفكير الشخصية بالانتساب له من شدة الحسد والغل في نفوس الحاقدين ، وتبدأ المفارقة اللفظية عندما أخبر الحاسد الآخرين بأنه كان أعزبا، إذ عمد إلى تشويه سيرة هذا الرمز الخالد في التاريخ، ولكن على العكس إذ اثبت التاريخ له ذرية حكمت بعده فضلا عن اتهامه بامرأة من بابل.

ومن المفارقة قول الراوي في قصة (عصر المدن): "وأشرقت الشمس على بابل، وصارت في أرضها دهشة وقشعريرة وانتشر في براريها روائح الآس والياسمين، وفاحت رائحة البخور الراكدة في ظلمات معبدها حيث يجلس مردوخ الكبير على منصة من حجر"[3].

يبدأ النص القصصي بالحديث عن بابل التي تعج بالمباهج والمسرات، ثم تشرق الشمس من جديد فتغمر أضواؤها قباب النمرود، وفجأة يتغير الموقف فيأتي نذير الشؤم، إذ يقول الراوي:

"فاستخرج طويس من راحلته دفاً مصنوعاً من جلد جديّ، ونقر عليه برشاقة شيطانية بثلاثة من أصابعه، فنهضت مدن، مدن من الرمل ومدن من الماء، ومدن من الدم، نهضت بعد يثرب بعد البصرة، بعد الكوفة، وبعد دمشق، نقر طويس الدف فاستقاقت مدن، استفاق الدم، استفاق الرمل، واستفاق الماء، وهبت بحار العالم تموج بغضب وبكاء قبل يثرب، وهرع

(1) الأعمال الكاملة: 498.

(2) م.ن : 462.

(3) الأعمال الكاملة: 475.

INTERNATIONAL Scientific Indexing معامل التأثير: 2.923
معامل الدائر العربي: 2.61

الناس: النساء والأطفال والصبايا الجميلات والفتيان من عاد وثمود وطسم وجديس واصطفوا الناس خلف نوافذ مشيشة بقضبان من خشب"[1].

تتحقق المفارقة اللفظية في حلقات الفتن من تأسيس المدن للإشارة إلى القلاقل والتداعيات الاقتصادية والاجتماعية والثورات والعصيان والتسلح والخروج على سلطة الحاكم المستبد والإطاحة بالحاكم الضعيف، فضلاً عن حشد القاص لأسماء قادة متمردين وخلفاء تمرد عليهم نفر من رعيتهم، فضلاً عن المدن المتعددة مما زاد في ذلك التشتت والانبهار وبروز الثوار للحصول على المكاسب، وتتأكد المفارقة برمز عجائبي بين حالتين متضادتين نور/ ظلام، نور: (أشرقت الشمس)، والظلام (ظلمات بعيدة)، فضلاً عن القبل/ والبعد: (قبل يثرب/ بعد يثرب)، ويداخل القاص الأحداث العجائبية بالانفتاح على فضاءات متعددة قادت إلى التمرد من حيث الثورات التي انتهت بالقمع والحسم العسكري.

المبحث الثاني: المستوى النوعي للغة السردية:

المستوى النوعي للغة السردية: هو المستوى الذي يدرس كيفية بناء السرد وتوظيف اللغة في العناصر القصصية لإيصال المعنى من خلال التقنيات الفنية بالصور التي تدعم بنية النص السردي، لذا يعد التحليل السردي منهجا نوعيا لفهم كيف يبني الراوي القصة باللغة السردية لإعطاء المغزى وبيان أهداف البناء السردي[2].

1- الوصف:

الوصف هو لون من ألوان التصوير، إذ انه أسلوب إنشائي يقدم المظاهر الحسية للأشياء[3]، ويعمل الوصف على تحويل الصورة المادية في العالم الخارجي إلى صورة أدبية قوامها نسيج اللغة وجمالها تشكيل الأسلوب[4].

من أنواع الوصف الذي يقدم اللغة السردية ثنائية الوصف البسيط/ الوصف المركب، إذ يتكون الوصف البسيط من جملة وصفية قصيرة مهيمنة ولا يستطيع هذا النوع من الوصف أن يتجاوز الدلالة المسخر لها إلاّ بفضل تلاحمها مع بقية الإشارات الوصفية الخاصة بالشخصيات والأمكنة والأشياء[5]، في حين يكون الوصف المركب معقداً بالانتقال من الوصف إلى أجزائه ومكوناته أو بالانتقال من المحيط العام لهذا الموصوف إلى المضموم إليه[6]، ويتحقق هذا الوصف بأفعال "السرد وانتقال الشخصية بالمكان ولا يتم بوضوح إلاّ إذا أتقن الوصف عملية الانتقال بدقة"[7].

من أمثلة اللغة السردية في التعبير عن الوصف البسيط قول الراوي في قصة (مصاطب الآلهة)، إذ يقول: "صنعوا عشر سلال في عشر سنوات على غرار مسلة الحكايات وخلال مدة عشر سنوات أخرى ملطوها بالقار والكبريت ثم حفروا حفرة عميقة"[8].

---

(1) م. ن: 475-476.

(2) ينظر: مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر: 33.

(3) ينظر: بناء الرواية، د. سيزا أحمد قاسم: 285.

(4) ينظر: في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض: 258.

(5) ينظر: أبحاث في النص الروائي، سامي سويدان: 144.

(6) ينظر: وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ: 43.

(7) ينظر: في نظرية الرواية: 285-286.

(8) الأعمال الكاملة: 549.

تقدم اللغة السردية وصفاً بسيطاً عن الحدث الذي قامت به الشخصيات من صنع السلال المطلية بالقار والكبريت للإيحاء بالمدة الزمنية التي يستغرقها هذا العمل (عشر سنوات) أولى ، ومن ثم عشر سنوات حتى أنهوا العمل بجملتين بسيطتين (صنعوا عشر سلال)(ملطوها بالقار والكبريت) ليدل الوصف بذلك على السعي والإرادة نحو تحقيق الطموح ـ ولم يكتف العمل عند هذا الحد من عشرين سنة فحسب وإنما أكمل الراوي الوصف بجملة بسيطة ثالثة (حفروا حفرة، حفرة عميقة) ليتوج هذا الحدث بفعل الشخصيات الذين يبذلون فيه هذا الجهد الشاق عبر السنوات الطويلة.

من نماذج اللغة السردية في التعبير عن الوصف المركب قول الراوي في قصة (وليمة الدم): "وفي المصطبات الاخيرة أخذ الثلاثة الكبار أماكنهم– انو– وانليل– وأيا بينما وقف ملكهم على السلم المتحجر– ننمو رساك– وحيداً يتابع بشغف حركة البطات وهن يغطسن في اعماق البحيرة كلما دوى صوت الرصاص بينما قرفص الثلاثي السماوي متلاحمتين: الهلال وعشتار وقرص الشمس المشع، وبعيداً عن المقدمة جلس ثلاثي الرغبات : آلهة الحرب والجحيم والقتل نركال زبابا وننورتا "[1].

تقدم اللغة السردية وصفاً مركباً ليدل فيه الراوي على الانتقال بين الموصوفات: (الأشياء/ المصطبات: الشخصيات: الآلهة/ الشيء: السلم: الحيوانات: البطات: المكان: البحيرة: الشمس)، وهكذا بأفعال متعددة تنسب للموصوفات المتنوعة (أخذ/ وقف/ يتابع/ يغطس/ دوى/ قرفص/ جلس) للتعبير عنها بما يحدث في المصطبات الأخيرة وذكر أسماء الآلهة الكبار، فضلاً عن الثلاثي السماوي وثلاث الرغبات فيما يتعلق بالحرب والجحيم والقتل، لذا سعى الراوي للوصف المركب باعتماده على رسم الموقف بالأفعال.

من أنواع الوصف الذي يقدم اللغة السردية ثنائية الوصف التصنيفي/ الوصف التعبيري، إذ يجسد الوصف التصنيفي الموصوف بحذافيره كلها بالابتعاد عن إحساسات بهذا الموصوف ويتناول أكبر قدر ممكن من تفاصيله، لذا تكون مقاطع الوصف طويلة**(2)** في حين يقوم الوصف التعبيري على جملة وصفية قصيرة، لذا يسعى الوصف إلى الإيحاء والتلميح[2]، ويتناول الوصف التعبيري وقع الشيء والإحساس الذي يثيره في نفس المتلقي[3].

من نماذج اللغة السردية في التعبير عن الوصف التصنيفي قول الراوي في قصة (زو العصور السابقة): "أول مرة ظهرت بابل من الظلمة خرجت إلى الضوء الراكد اتجهت. خرجت بابل، المدينة بشوارعها وقصورها ومعابدها وسراديبها والزقورات من أعماق الضوء المصنوع بحد السيف، واستقرت الالهة أنجزت المهمة واستقرت هناك ، وسعت لحماية نفسها جعلت الزاب الصغير أمامها والزاب الكبير خلفها، ونصبت مناراً للرصد يشرف على سهل شهرزور في فسحة عن الأرض"[4].

تعتمد اللغة السردية على مفردات الوصف الاستقصائي فيما يتعلق بمدينة بابل للتركيز على دورها التاريخي بذكر جزئياتها للوصول إلى حد الاستنفاد بمقاطع وصفية طويلة لبيان أكبر قدر من التفاصيل: خروج بابل من الظلم،

(1) الأعمال الكاملة: 622.

(2) بناء الرواية: 81.

(2) ينظر: فضاء النص الروائي، محمد عزام: 115.

(3) ينظر: م. ن: 116.

(4) الأعمال الكاملة: 526.

وتتبع الحركة من الراوي للتفصيلات : الشوارع والقصور والمعابد والسردايب والزقورات والآلهة، فضلاً عن بيان حركة الفعل مع الزاب الصغير والكبير، ونصب المنار للرصد وارتباط بابل بسهل شهرزور لذا سعت اللغة السردية لبيان المكان وتفصيلاته بوصف تفصيلي يعتمد على الاستقصاء .

من أمثلة اللغة السردية في التعبير عن الوصف التعبيري ما جاء في قصة (زو العصور السابقة)، إذ يقول الراوي: "انهمر المطر طوال أربعين يوماً ولم يتوقف، مطر غزير واصل سقوطه في الليل والنهار وريح جامحة "[1].

تقدم اللغة السردية الحدث (انهمر المطر) بوصف تعبيري تركز فيه على فعل يوجز الحدث ، ومن ثم تحدد المدة الزمنية (أربعين يوماً) وتترك تلقي الفعل للقارئ من حيث استيعاب الحدث بهذه الألفاظ التعبيرية للإيحاء بمدى غزارة المطر من تحديد المدة وساعاتها على طول الليل والنهار للتعبير عن الجو الممطر في الفضاء القصصي داخل النص، والتعبير عن المضمون السردي بتداخل فعل انهمار المطر مع الريح الجامحة.

من أنواع الوصف الذي يقدم اللغة السردية السرد الوصفي الذي تكثر فيه الأفعال لتدل على الحركة، وتبرز الأحداث والأعمال مما يسوغ وجود المقاطع الوصفية من الجمل السردية، لذا تتعدد الأفعال السردية لتقدم النص الروائي[2]، وتأتي دلالات الوصف في سياق السرد بمستوياته المختلفة، لذا يمكن إلحاق الوصف بجدول السرد وتتجمع البؤرة المركزية للسرد في المقاطع الوصفية وانسجامها مع دلالات المستويات السردية الأخرى[3].

من أمثلة اللغة السردية في تقديم السرد الوصفي ما جاء في قصة (مصاطب الآلهة)، إذ يقول الراوي: "وهكذا منذ عشرات القرون، هم الملوك يضربون بالسوط الخارجين من كهوف شاندري وبمجارف صنعوها من جماجم آدمية يذرون الرمل فوق نقاط الدم التي تناثرت على الأرض، وعلى الأرض تسقط الآن قطرات الدم والعرق، من الأرض تنبعث للتو رائحة فريدة هي رائحة الدم والتراب بها يحاول الخارجون من تلك الكهوف النائية أن يتعرفوا على أوطانهم مرة تلو المرة، ومن قطرات الدم الساقطة يتكون الماء وتتشكل الحجارة"[4].

تقوم اللغة القصصية بالتعبير عن الحدث والشخصيات بسرد وصفي تستند فيه بمجموعة من الأفعال بأصدائها الوصفية: (يضربون/ صنعوها/ يذرون /تناثرت / تسقط / تنبعث/ يحاول/ يتعرفوا/ يتكون/ تتشكل) فيما يتعلق بأفعال الملوك مع ذكر المكان (كهوف شاندري) وآلة الضرب (المجارف)، ومن ثم يتابع الراوي أفعال السرد الوصفي من ذرأ الرمل والدمج بين قطرات الدم والعرق، وصولاً إلى الأفعال التي ينسبها الراوي من انبعاث الرائحة من الأرض (رائحة الدم والتراب)، ومن ثم أخيراً تكوين الماء وتشكيل الحجارة، وبذلك عمدت اللغة السردية إلى الأفعال التي تدل على الوصف بالقيام بالحدث بما تفعله الشخصيات لتصوير الفضاء الذي يعبر عن تسلط الملوك على الرعية ومحاولة إماتتهم داخل الكهوف النائية؛ إلاّ أنَّ الإرادة الإنسانية تستجيب لرغبة الحياة والتعرف على الوطن الذي يعيشون فيه بأمان.

---

(1) م. ن: 521.

(2) ينظر: وظيفة الوصف في النص الروائي: 30.

(3) ينظر: أبحاث في النص الروائي العربي: 57.

(4) الأعمال الكاملة: 550–551.

2- الحوار:

الحوار هو حديث بين شخصين أو أكثر [1]، فهو ثالث الأدوات الرئيسة، فالسرد هو الأعمال والوصف هو حكاية السمات والأحوال، في حين يكون الحوار جملة من الكلمات تتناولها الشخصيات بأسلوب مؤثر خلافا لمقاطع السرد والوصف لأنه شكل أسلوبي خاص يتمثل في تشكيل الأفكار المسندة إلى الشخصيات على شكل أقوال[2].

من أنواع الحوار الذي يعبر عن اللغة السردية : الحوار الترميزي الذي يعتمد على مستويين هما[3]:

– مستوى اللفظة والتركيب: إذ يبدو هذا المستوى من حيث قابلية الكلمة على التأثير المجازي بطاقاته الإيحائية والتعبيرية فيصبح الترميز باللفظ أساس العملية التعبيرية للسرد

– مستوى الموقف والحدث: إذ يبدو هذا المستوى من حيث تأويل الحدث والبحث عن الإيحاء الشمولي الذي يحقق الترميز للغة السرد

من أمثلة اللغة السردية في تقديم الحوار الترميزي على مستوى (اللفظة التركيب) ما جاء في قصة (وليمة الدم) اذ يقول الراوي : "بعد أن اجعل من الطين الغريني ومزيج الدم والنطفة أشكالاً على هيئة رجال، وأضع على رؤوسهم عمائم مقار أسود، وانفخ فيهم، وأضع خراطيم طويلة تدفع قذاراتهم بعيداً وأقول لهم: ابدؤوا عملكم الآن اكتبوا تاريخ هذا الطين وابدؤوا من حيث شئتم، أليس هذا ما ينبغي عمله ياحي

- ألسنا مثقفين.
- انهم يتكلمون .
- اسألهم إذن؟.
- لا حاجة لي لسؤالهم فأنا أعرفهم كما أعرفك "[4].

تعتمد اللغة السردية في عرض الحوار بين الشخصيات على لفظ وتركيب ترميزي من حيث (اكتبوا تاريخ هذا الطين/ ألسنا مثقفين) للتعبير عن الفعل الإنساني الخالد الذي تقوم به الشخصيات بجعل الطين مع الدم والنطفة على هيئة أشكال للرجال والدعوة من المتحاور مع مجموعة من الشخصيات لبدء العمل في كتابة تاريخ الطين بفعل ترميزي للإيحاء بأنَّ الرجال الذين خلقوا من طين هم الذين يسجلون تاريخ الأمة، وهذا هو العمل الإنساني الذي يسجل على مدى الأزمان، ويتحول الترميز بفعل عجائبي (ألسنا مثقفين) إذن تحقق طموح صانع الرجال بأنَّ ما فعله أتى بالنتيجة وتكلم الرجال، ويتواشج الترميز باللفظة والتركيب عن البيئة والثقافة للتوافق بينهما بأن تاريخ الطين هو الذي يسجل ثقافة الزمن، فالرجال من طين هم الذين يخلدون التاريخ بحسب ثقافتهم على مدى الأزمنة والعصور .

من نماذج اللغة السردية في تقديم الحوار الترميزي على مستوى الموقف/ الحدث ما جاء في قصة (اصطياد الشمس ليلة خسوف القمر): "وفي رقابهم ذوادات من الصوف يخبئون فيها مالم يقع تحت أيدي الجند من روث المهرة الذهبي: مسرورون؟.

---

(1) ينظر: الحوار القصصي، د. فاتح عبد السلام: 21.

(2) ينظر: الحوار: خلفياته والياته وقضاياه، د. الصادق قسومة: 36.

(3) ينظر: الحوار القصصي: 80، 84-85.

(4) الأعمال الكاملة: 613-614.

– اصبروا إذن فإني ذاهب إلى عراف قديم من النمرود، ترك الشكوى من ألم البلوى وأخذ يبحث في الفلوات الممتدة بين الحضر وسامراء وهيت عن صوت سري يسري في الرمل ، ولا يغرنكم صوت الجرجاني فهو رجل مبهور بروث المهرة"[1].

تسعى اللغة السردية عن طريق ترميز الموقف/ الحدث لتقديم الأحداث والشخصيات بعد تأويل الحوار ومعاينته معاينة دقيقة للوصول إلى تحديد الحدث بما تقوم به الشخصيات (الجنود) من فعل الحصول على روث المهرة الذهبي ومحاولة ستره في الذوادات الصوفية التي على رقابهم مما يدل على الحرص الشديد للحصول على ذلك ولبيان سعادتهم وسرورهم بهذا العمل ، وتوافق هذا العمل مع انبهار العراف بروث المهرة الذي لا فعل له ولا موقف إلاّ البحث في الصحراء عن روث المهرة، وهو متوفر عند الجنود، مما يوحي ذلك بمدى تفاهة البحث وسرور الجنود فالذي يجمعهما هو روث المهرة الذهبي، لذا يوحي المتحاور الثاني بالصبر للأخذ برأي العراف القديم وانسجام رغبتي الجنود والعراف.

من أنواع الحوار الذي يدل على اللغة السردية الحوار السردي الذي يقوم على ذكر كلام متكلم آخر سواء بشكل سردي غير مباشر أو عرض مباشر لذا يسمى بالخطاب المنقول أو المتحول[2]، ويقوم الحوار المنقول المباشر على نقل الراوي للحوار كما حدث من دون تغيير فيه فيحافظ على نصه ويكون مؤشراً بين قوسين للتدليل عليه[3]، وينقل هذا الحوار بأمانة كاملة بإبقاء صيغته الحقيقة ليوجه نحو متلقي مباشر أو غير مباشر[4]، في حين ينقل الراوي الحوار المنقول غير المباشر بما حدث ويعيد صياغته على وفق رؤية جديدة (4)، لذا يقدم على شكل خطاب سردي ولا يتدخل الناقل بالكلام الأصلي [5].

من نماذج اللغة السردية في تقديم الحوار السردي المنقول المباشر قول الراوي في قصة (زو العصور السابقة): "ناديته– قلت من هذه الفتاة الفائقة الجمال التي تسير خلفك وما الذي تحمله ؟ قال: هذه ابنة الكاهن تلبونايا تحمل أسرار أرابخا في سجلاتها الخاصة/ حياة ارابخا السرية"(6).

تعمد اللغة القصصية إلى استخدام الحوار السردي ، ويعمل الراوي على نقله مباشرة من دون تغيير لتصوير الحدث والشخصيات مما جاء فيه السؤال عن ماهية الفتاة الجميلة (قلت) فجاء الرد مباشرة (قال) الذي وضح اسم الفتاة ومهنة والدها ووظيفتها في الحفاظ على أسرار المدينة، وبذلك عمد الراوي إلى نقل الحوار بين الشخصيات نقلاً مباشراً للحفاظ على صيغة الحوار من دزن تدخل منه .

ومن نماذج اللغة السردية في تقديم الحوار السردي المنقول غير المباشر قول الراوي في قصة (عصر المدن):

---

(1) م.ن : 596–597.

(2) ينظر: الحوار القصصي: 104–105.

(3) ينظر: القراءة والتجربة، سعيد يقطين: 183.

(4) ينظر: تحليل الخطاب الروائي: 198.

(4) ينظر: القراءة والتجربة: 183–184.

(5) ينظر: تحليل الخطاب الروائي: 198.

(6) الأعمال الكاملة: 548.

"ماذا سيقول هؤلاء عمالقة الصنعة عندما يستفيقون من تيه هو بالسكر أشبه، هل يعودون إلى زرعها بالحسك والشوك، ويبدؤون الطريق من بدايته، لا ذات لهم ليغايروا بها ذات الله، ولا أسرار يدخرونها ليوم القيامة، أذاعوا ما لديهم عما يضمرون فلمس السيف رقابهم"[1].

إذا كانت اللغة السردية قد اعتمدت الحوار السردي المباشر من نقل الراوي فهو يعمد في نص آخر إلى نقل الحوار ولكن بصورة غير مباشرة من صيغة السؤال (ماذا سيقول هؤلاء عمالقة الصنعة) للإيحاء بأنَّ الراوي تدخل في عرض الحوار وعمل على تقديمه من وجهة نظره لأنه لا يعلم ماذا قالوا ولاسيما أنَّ الشخصيات من أهل الصنعة الذين عرفوا بكلام مزوق بعد الاستغاثة من التيه ومجابهة الواقع بعد رحلة صعبة من التحديات والضغوطات، لذا عمد الراوي إلى إعادة صياغة الحوار على رؤية تقريب الأفكار التي يمكن أن تطلق عن شخصيات عمالقة الصنعة لذا لا يمكن نقل الحوار مباشرة لتشعب الأحداث والمواقف والتجربة الجديدة التي ستخوضها الشخصيات بعد الإفاقة من التيه.

ومن أنواع الحوار الذي يقدم اللغة السردية الحوار المركب الوصفي الذي تدور فيه أحوال المتحاورين ببطء لتوضيح مقصديات الحوار وتأمل الأشياء ولهذا النوع من الحوار القدرة على الوصف العميق بين الشخصيات[2].

من أمثلة اللغة السردية التي تقدم الحوار ا المركب الوصفي ما جاء في قصة (القلعة)، إذ يقول الراوي: "أنا صاحب الحانة، وقد حاولت أن أضيف تقاليد جديدة، لم اطلب من احد شيئاً ابتسم عندما يدخل الناس، وابتسم عندما يخرجون يافث وإبراهيم يخرجان من الباب الخلفي، جرجيس يمر من أمامي وكأنه لا يعرفني، وأنا لا أفصح عن شيء إلاّ من عندي لأفصح عن تقاليد من عرق ، تقاليد من حجر وجبس ورمال وصلصال"[3].

استندت اللغة السردية على حوار مركب وصفي بنقل الراوي لبيان وظيفة الحوار وتحقيق مقصديته بعرض حوار صاحب الحانة مع الآخرين الذي يعتمد فيه على الوصف (تقاليد) وصفها بـ (جديدة) ومن ثم يقدم أفعاله من حيث وصف الابتسام أمام الناس عند دخولهم الحانة وخروجهم منها، فضلاً عن وصف باب الحانة وتحديد هيئته (الباب الخلفي) وصولاً إلى وصف أفعال إحدى الشخصيات من المرور من أمامه والعمل على تجاهله والسكوت عن ذلك، وأخيراً يصف صاحب الحانة التقاليد بأوصاف تدل على عدم الإفصاح: حجر وجبس ورمال وصلصال للدلالة على الثبات بعيداً عن التقاليد الجديدة التي يطمح أن يصفها في بداية حواره مع الشخصيات في الحانة.

الخاتمة

بعد الانتهاء من الدراسة التحليلية للغة السردية في المجموعة القصصية (مصاطب الآلهة) لمحمود جنداري على وفق مستويي المرجعية والنوع وصل البحث إلى النتائج الآتية:

- قام المستوى المرجعي للغة السردية على الرمز والمفارقة، إذ بدا الرمز بوصفه مرجعية للتعبير عن مقولة القاص فيما يتعلق برمز العنوان (مصاطب الآلهة) للإحالة إلى الفضاء الأسطوري والملحمي والتاريخي، فضلاً عن رمز الشخصية والمكان معاً لتلازمهما في تقديم الحدث القصصي، في حين عملت المفارقة على التنقل بين الأزمنة

(1) الأعمال الكاملة: 548.

(2) ينظر: معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني: 171.

(3) الأعمال الكاملة: 466.

والأمكنة لتأكيد الانتماء للتاريخ والتعبير عن شخصياته، فضلاً عن الأمكنة التي تدل على التطور عبر التاريخ بألفاظ تحيل على واقع لم يتوقعه القارئ.

- اعتمد المستوى النوعي للغة السردية على الوصف والحوار في أنواع تعتمد فيها على تنوع الأسلوب والتمكن من استخدام اللغة في تصوير الأحداث والشخصيات والأزمنة والأمكنة بجمل بسيطة أو بالانتقال من الموصوفات عن طريق الأفعال أو تقديم جملة تلميحية أو بأوصاف متسعة بمقاطع طويلة، فضلاً عن تقديم أفعال سردية فيها أوصاف فيما يتعلق بأسطورة المصاطب التي تعود للآلهة أو الحس التاريخي الذي يضفيه الراوي على لغته، وجاء الحوار بأنواعه التي تعتمد على التعبير اللغوي من حيث الترميز للفظ/ التركيب والموقف / الحدث أو الحوار السردي المنقول المباشر وغير المباشر، أو الحوار المركب الوصفي فيما يتعلق بتصوير الشخصية وتقديم الحدث وعرض الفضاء القصصي (زمانا ومكانا ورؤية) باستخدام مفردات وألفاظ خاصة بين المتحاورين.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- الأعمال الكاملة، محمود جنداري، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق،2018.

ثانياً: المراجع:

1- الكتب العربية والمترجمة:

- أبحاث في النص الروائي العربي، سامي سامي سويدان، مؤسسة الأبحاث العربية، ط1، بيروت، 1986.
- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال، دار العودة، ط3، بيروت، 1983.
- الأدب وفنونه: دراسة ونقد، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط1، بيروت، 1976.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1996.
- بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا أحمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984.
- تحليل الخطاب الروائي (الزمن. السرد. التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1989.
- تحولات النص: بحوث ومقالات في النقد العربي، د. إبراهيم خليل، مطابع البهجة، اربد– الأردن، 1998.
- الترميز في النص القصصي العراقي الحديث، صالح هويدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989.
- ثقافة الأسئلة: مقالات في النقد والنظرية، د. عبد الله محمد الغذامي، النادي الأدبي الثقافي، ط1، جدة، 1991.
- الحوار: خلفياته وآلياته وقضاياه: د. الصادق قسومة، سلسلة ألف كتاب، مسلكياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2009.
- الحوار القصصي: تقنياته وعلاقاته السردية، د. فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1999.
- الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات، القاهرة، 1987.
- السرد في روايات محمد زفزاف، محمد عز الدين التازي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، (د. ت).
- شعرية دستويفسكي، ميخائيل باختين، ترجمة: د. جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، ط1، الدار البيضاء، 1986.
- عالم اللغة العام، دي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، دار الكتاب للطباعة والنشر، الموصل، 1988.
- فضاء النص الروائي: مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، محمد عزام، مطبعة اليمامة، ط1، حمص، 1996.
- في آليات النقد الأدبي، عبد السلام المسدي، سلسلة مفاتيح ، دار الجنوب للنشر، المطبعة الأساسية، تونس، 1994.
- في نظرية الرواية: بحث في قضايا السرد، عبد الله مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
- القراءة والتجربة: حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب، سعيد يقطين، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 1985.

- مرجعيات بناء النص الروائي، د. عبد الرحمن التمارة، دار ورد الأردنية، ط1، الأردن، 2013.
- مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر: دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2008.
- معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، دار النهار للنشر، ط1، بيروت، 2002.
- المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق، خالد سليمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 1999.
- المفارقة وصفاتها، دي سي ميويك، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.
- وظيفة الوصف في الرواية، عبد اللطيف محفوظ، دار اليسر، الدار البيضاء، 1989.

2- البحوث المنشورة في الدوريات:

- معنى الشكل في العمل الفني، خلدون الشمعة، مجلة المعرفة، دمشق، العدد (135) لسنة 1973.
- المفارقة في القص العربي المعاصر، د. سيزا قاسم، مجلة فصول، القاهرة، المجلد (2)، العدد (4) لسنة 1982.
- المفارقة، نبيلة إبراهيم، مجلة فصول، القاهرة، المجلد (7)، العددان (3، 4) لسنة 1987.

ISSN: 2394-4862
مجلة اللغة
علمية. محكمة. مصنفة.